

حوار مع الناقد: نبيه القاسم

حول: راهن الحركة الأدبية والثقافية لعرب ١٩٤٨

حاوره: نضال وتد

سؤال: ما هو واقع الحركة الأدبية والثقافية لعرب ١٩٤٨ اليوم؟

يصعب على الناقد الموضوعي الذي يريد أن يُقيّم واقع وراهن الحركة الأدبية العربية الفلسطينية لعرب ١٩٤٨ أن يتجاهل الواقع الذي تعيشه هذه الأقلية العربية في الظروف الحالية، والصعوبات الكبيرة التي تحول دون تفجّر طاقات إبداع هذه الحركة

فسنوات الستينات والسبعينات شهدت تميّز حركتنا الأدبية الثقافية بزخم عطائها وإبداعها في مختلف مجالات الإبداع ورفدت الحركة الأدبية العربية بمُبدعين كبار احتلوا المواقع الأولى أمثال: إميل حبيبي، محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زيّاد، راشد حسين، توفيق فيّاض، حنا بي حنا، محمد علي طه ومحمد نفاع وغيرهم وحفّلت بالنشاط الثقافي على مختلف المستويات كإصدار المجالات الأدبية الراقية كالجديد والفجر والملاحق الأدبية الثقافية في مختلف الصحف وإقامة الأمسيات الأدبية الثقافية في مختلف المدن والقرى العربية وخلق جمهور مُتابع ومهتم بما يجري على الساحة الثقافية، يتأثّر ويؤثر.

أهمية هذه الحركة الأدبية العربية لعرب ١٩٤٨ أنّها شكّلت تياراً قوياً ومؤثراً في الحركة الأدبية العربية عامة واخترقت جدران الحركة الأدبية العالمية حيث

ترجمت العديد من أعمال بعض هؤلاء المبدعين إلى لغات مختلفة وكتبت عن بعضهم الدراسات الأكاديمية والبحوث العديدة.

هذه الحركة الأدبية التي أصابها بعض التراجع في الثمانينات عادت للنشاط والعتاء في سنوات الثمانين الأخيرة وفي سنوات التسعين ولكن بأسماء شابة متعلمة في معظمها تحمل اللقب الجامعي ومتأثرة بتيارات الحداثة وما بعد الحداثة، متمردة على الأنماط المعروفة، متحررة من كل قيد حكَم بنية القصيدة أو القصة، حتى أن البعض استخف بقوانين اللغة ولم يراع سلامتها وحتى لو أراد لعجز، وما يستحق المباركة والإبراز أن عدد المبدعات في هذه السنوات كان كبيراً وفي مختلف الأنواع الأدبية، كما أن الدراسات الجادة والبحوث في مختلف مجالات الأدب والثقافة والعلم بدأت تُشكّل الوجه البارز والمهم وتجذب العديد من أساتذة وخريجي الجامعات للمساهمة في هذا الجانب الثقافي الجاد.

سؤال: كيف تقيّمون الكم الهائل نسبياً من الإصدارات المتسارعة لما يُسمّى "دائرة الثقافة العربية"؟

كلنا نشكو ومنتقد هذه السهولة في الإصدار بدون التقييم المُسبق للعمل، لأننا نرى أن هذا قد يخلق لدى القارئ بلبلة، ومن ثم قد يدفعه للرفض والإبتعاد عن الإهتمام والمتابعة والقراءة، وهذا ما نشهده الآن من الرفض للكتاب المحلي وتفضيل الكتاب القادم من أي دولة عربية عليه، حتى معارض الكتب التي تُقام، تهتم بإحضار وعرض الكتاب العربي وتهمل الكتاب المحلي.

إمكانيات "دائرة الثقافة العربية" كمؤسسة حكومية لها ميزانيات تُصرف تجعلها قادرة على إصدار العشرات من الكتب سنوياً، ودعم مختلف الصحف

والمجلات والنشاطات، وهذا في حد ذاته أمر طالبنا به كمواطنين ندفع كل الضرائب ومن حقنا المساواة في الميزانيات والمساعدات ، لكن السؤال كيف نتصرف وإلى ماذا نهدف؟ هنا الاختلاف وهنا النقاش بيننا وبين المسؤولين في " دائرة الثقافة العربية " .

لا أريد أن أظلم أصحاب هذه الكتب التي تُصدرها الدائرة ، فعدد لا بأس به جيد ويمكن أن يساهم في تنشيط الحركة الأدبية والبعض يدعون أن من حقهم أن يمنحوا فرصة الإبداع وليس لأحد الحق في حرمانهم، ولندع الأيام المقبلة تكون الفصل في ذلك.

سؤال: هل تعتقدون أن الحركة الأدبية للعرب في إسرائيل قادرة حقاً على إصدار هذا الكم من الإنتاج – النصوص – ومن دار نشر واحدة؟

بالنسبة لإمكانيات دار النشر المدعومة بميزانيات ثابتة من الوزارة يمكنها بالفعل أن تُصدر هذا الكم من الإصدارات ويمكنها أكثر ولا مشكلة في ذلك. أمّا بما يتعلق بقدرة العرب داخل إسرائيل أن يكون بينهم من المبدعين والعتاء لإصدار هذه العشرات من الكتب سنوياً؟ فأقول نعم يمكن ذلك ، فعدد المواطنين العرب في البلاد يصل إلى المليون، وعدد الذين يتجهون في اهتماماتهم نحو الدراسة والبحث والإبداع الأدبي ، خاصة الشعر، يزداد سنوياً . لكن السؤال يظل مدى قيمة هذا الذي يصدر وما نسبة الإبداع الحقيقي بينه، هنا يتمحور السؤال وهنا يدور الجدل والنقاش وتختلف الآراء ، ويحتاج الجواب الدقيق إلى متابعة جادة لما يصدر وإلى الدراسة والتقييم البعيد عن الآراء السيّارة المبتسرة.

سؤال: هل تعتقدون أن " دائرة الثقافة العربية " ساهمت عملياً بقتل دور

النشر الوطنية في الداخل مثل الأسوار ، عربسك، المواكب؟

المفروض كان أن وجود " دائرة الثقافة العربية " التي لها ميزانيات حكومية ثابتة وإمكانيات كبيرة أن تخلق نوعاً من المنافسة على إصدار الجيد من الإبداعات . ولكن للأسف أن الوضع المادي وتكاليف الإصدار العالية وعدم وجود دور توزيع ثابتة ومسئولة منع انتشار الكتاب وساعد على توقّف أو تعطيل عمل دور النشر التي ذكرت.

لكن يجب أن أذكر أن " دار الأسوار " التي يديرها الصديق يعقوب حجازي لا تزال على مدار خمس وثلاثين سنة في نشاطها الثقافي الزخم الهادف الوطني، وأصدرت مئات الكتب ولا تزال تصدر وتوزع، كذلك أصدرت جريدة أسبوعية لفترة من الزمن ولا تزال تصدر مجلة فصلية غنيّة بالدراسات والبحوث والإبداعات هي مجلة " الأسوار " ، وابتكرت مناسبة جميلة لها مدلولها وهي تكريم المبدعين في حياتهم، وأقامت أياماً دراسية في مختلف الإهتمامات الثقافية الوطنية. سؤال: ما هو مصير الثقافة الوطنيّة ؟ وهل يعتمد الكتاب اليوم مقولة الطلاق بين السياسة والثقافة، لضمان إصدار نتاجهم؟

الثقافة الوطنية كانت ولا تزال بخير، ويشهد على ذلك هذا العدد الكبير من المبدعين والباحثين الملتزمين بالخط الوطني . وأنا أحياناً أستذكر صرخة محمود درويش بعد عام ١٩٦٧ " أنقذونا من هذا الحب القاسي! " وأريد أن أصرخ: " أنقذونا من هذا الكلام البعيد عن الإبداع، المكتفي بالشعارات والكلمات العابرة، والمعتقد صاحبه أن ترديد كلمات مثل: القدس، فلسطين، الشهيد، الحجر ، الأقصى. تجعل منه شاعراً أو قاصاً أو بطلاً.

الثقافة الوطنية واضحة وبارزة وتحتاج للتوجيه السليم والوعي ورسم الأهداف وبناء منهج ملتزم شامل وأسس تُطرح مع رؤية ورؤيا مستقبلية توجّه حاملها في الطريق السليم.

لا أعتقد أنّ الكاتب الذي يحترم نفسه تُغريه المادّة والتسهيلات والوعود مهما كانت. مثل هذه كانت طوال الخمسين سنة، وكثيرون سقطوا وضربوا بسيف السلطان وجملّوا عمله، لكن شعبنا احتقرهم ورفض عطاءهم.

واليوم أيضا هناك من يسقط وتغريه الوعود والتسهيلات والمادّة، ولكن تظلّ ثقتنا كبيرة بأنّ الكتاب الملتزمين الوطنيين الجديين والمبدعين حقًا، هم الأكثر وهم الأبقى.

سؤال: كيف تفسّر غياب حالة تفاعل ثقافي وأدبي واختفاء المجالات الأدبية؟

أعتقد أنّ هذه الظاهرة ليست عندنا فقط، فالعديد من المجالات الأدبية القيمة التي عرفناها اختفت من الوجود مثل: شعر، حوار، الكاتب، الناقد، القاهرة، دراسات معاصرة، فصول، أديب. وأخيرا نحن نشهد اختفاء أهم مجلة أدبية رعت الحركة الثقافية العربية الوطنية عشرات السنين وهي مجلة "الأداب" اللبنانية.

وقد يعود سبب توقّف هذه المجالات المهمة إلى هذا التراجع في الإهتمام بالأدب لدى قطاعات كبيرة من الناس والتّوجه باهتماماتهم إلى المجالات المادية في الحياة وإلى الإكتفاء بالثقافة السطحية السيّارة التي تُقدّمها الفضائيات والإذاعات والإنترنت والملاحق الصحفية الهزيلة.

وعندنا هنا أيضا اختفت المجالات الأدبية مثل: المجتمع، الفجر، كنعان، ٤٨، الجديد. ولكن لا تزال بعض المجالات موجودة وتصدر مثل: الشرق، المواكب، الأسوار، الكرمل(عن جامعة حيفا)، مواقف. ومجلة "إيضات" الفصلية التي عملت على إصدارها ويقوم الشاعر سميح القاسم برئاسة تحريرها وتختص بالدراسات والإبداعات الجادّة.